الأقلية اليهودية في أذربيجان:

حدود الدور وتأثيراته على العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية

The Jewish minority in Azerbaijan: the limits of role and reflections on the relationship between Azerbaijan and Israel

د.شرين محمد فهمي

مدرس النظم السياسية بكلية الإعلام، جامعة الأهرام الكندية

المستخلص

تصدرت جمهورية أذربيجان قائمة الدول الواقعة في منطقة الكومنولث، التي شهدت خلال العقد الأخير توجهاً إسرائيلياً حثيثاً نحوها لإقامة علاقات تعاون في مختلف المجالات، السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، مستغلة بذلك وجود الجالية اليهودية في أذربيجان لتحقيق مصالحها الإستراتيجية والتي يتمثل أهمها في إيقاف ظهور الأصولية الإسلامية الصادرة من إيران، ومن ثم أضعاف النفوذ الإيراني في المنطقة، هذا فضلاً عن ضمان مصالح إسرائيل في القوقاز نتيجة الوجود اليهودي في دول المنطقة ومن بينها أذربيجان.

الكلمات المفتاحية:

منطقة الكومنولث – الأقليات اليهودية – العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية – جماعات الضغط اليهودية – العلاقات الآسيوية – الآسيوية.

Abstract

The Republic of Azerbaijan topped the list of countries in the Commonwealth, which witnessed during the last decade a strong Israeli approach to establishing cooperative relations with her in various political, economic, military and cultural fields, taking advantage of the existence of the Jewish community in Azerbaijan to achieve its strategic interests, the most important of which is to bring the Islamic fundamentalism emanating from Iran to a halt, in order to weaken Iranian influence in the region and ensure Israel's interests in the Caucasus thanks to the Jewish presence in the countries of the region, including Azerbaijan.

Key Words: The Commonwealth – Jewish Minorities - Azerbaijani-Israeli relations - Jewish lobbyists - Asian-Asian Relations

مقدمة:

حظيت دول الكومنولث بأهمية جيوبوليتكية واقتصادية هامة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي في عام 1990، إذ أصبحت أهم طرق اتصال مناطق شرق وجنوب آسيا بالمياه المفتوحة في البحر المتوسط والخليج العربي، إلى جانب تمتعها بثروات طبيعية كالنفط واليورانيوم، الأمر الذي هيأ المناخ لدخول هذه الدول سريعاً في معترك الساحة الدولية ومشاركتها بكثافة في التفاعلات الجارية على تلك الساحة.

وهذه التطورات التي شهدتها منطقة الكومنولث جعلتها محط اهتمام الدول الساعية للحصول على جزء من التركة التي خلفها تفكك الاتحاد السوفيتي، وإسرائيل كانت من جملة الدول التي انتبهت سريعاً إلى التطورات التي شهدتها تلك المنطقة ومدى ما تمثله من مكاسب وامتيازات تدخل ضمن المصالح الإسرائيلية[1].

وقد تصدرت جمهورية أذربيجان قائمة الدول الواقعة في منطقة الكومنولث، التي شهدت خلال العقد الأخير توجهاً إسرائيلياً حثيثاً نحوها لإقامة علاقات تعاون في مختلف المجالات، السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، مستغلة بذلك وجود الجالية اليهودية في أذربيجان لتحقيق مصالحها الإستراتيجية. وفى ضوء ما سبق، كانت الجالية اليهودية في أذربيجان بمثابة "الكوبري" الذي يمكن من خلال عبوره توثيق العلاقات الثنائية، على مدى أكثر من عقدين من الزمان، لتمثل نموذجا للأقلية الإستراتيجية أو ما يطلق عليه "اللوبي النشط"[2].

لذا، تتمثل إشكالية الدراسة في تحديد تأثير الدور الذي تقوم به الأقلية اليهودية في أذربيجان على مسار العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية، سياسيا واقتصاديا وأمنيا وعسكريا.

تهدف هذه الورقة، إلى تحديد دوافع إسرائيل من إقامة علاقات تعاون مع أذربيجان، (لأنها الخيط الذي يمكن على أساسه فهم دور الجالية اليهودية في الداخل الأذربيجاني)، فضلاً عن رصد واقع الأقلية اليهودية في أذربيجان، من خلال تقدير نسبة عددهم إلى إجمالي عدد السكان، ومناطق توزيعهم داخل أقاليم الدولة، بالإضافة إلى إبراز حدود وطبيعة الدور السياسي والاقتصادي الذي تلعبه هذه الأقلية، ومدى تأثير ذلك الدور على طبيعة العلاقات الإسرائيلية – الأذربيجانية حالياً ومستقبلاً، وذلك من خلال تناول المحاور التالية.

المحور الأول:

الدوافع الإسرائيلية من إقامة علاقات تعاون مع أذربيجان

تعود بداية العلاقات السياسية بين إسرائيل وأذربيجان إلى اعتراف تل أبيب باستقلال "باكو" بتاريخ 25 ديسمبر 1991، لتكون من أولى الدول التي بدأت العلاقات الدبلوماسية معها بتاريخ 7 أبريل 1992[(3)]، وتتمثل أهم الدوافع الإسرائيلية من إقامة علاقات تعاون مع أذربيجان، فيالآتي:

يتمثل **أول هذه الدوافع** في **العامل الاستراتيجي** إذ أن موقع جمهورية أذربيجان الجيو –سياسي بالغ الأهمية الممتد في منطقة ما وراء القوقاز، مما جعلها "حديقة خلفية" لروسيا بمساحة تصل إلى حوالي 86.600 كم2، كما أن أذربيجان تمثل مع دول الكومنولث، باباً مفتوحاً على الخليج العربي بصفة خاصة ومنطقة الشرق الأوسط عموماً، ومن ثم تصبح عمقاً وامتداداً لمنطقة الشرق الأوسط، الأمر الذى يدخلها ضمن المخطط الإسرائيلي القائم على إعادة ترتيب المنطقة وتوسيعه ليضم دول آسيا الوسطى غير العربية، ومن ثم يعالج الخلل الموجود حالياً في المنطقة، والذي تعتبره إسرائيل في غير صالحها، نظر لغلبة العنصر العربي.

لذا، أضحت مسألة الربط الإقليمية بين دول الكومنولث ومن بينها أذربيجان ومنطقة الشرق الأوسط ضمن أولويات الإستراتيجية الإسرائيلية، حيث أدركت إسرائيل أن هذا الربط لا يتأتى بدون توثيق علاقاتها مع هذه الدول بشكل يسحب البساط من الدول العربية ويساهم في الوقت نفسه في استحداث واقع جديد في الشرق الأوسط يصب في صالحها فقط[(4)].

ويتمثل **الدافع الثاني** من العلاقات الأذربيجانية في **التهديد الأمني**، ومفاده قلق إسرائيل من تنامى الدور الإيراني وتيار الأصولية الإسلامية –في دول آسيا الوسطى والقوقاز خاصة منذ سيطرة حكم طالبان على أفغانستان قبل أن يسقط نظام حكمها بعد الحرب التي شنتها الولايات المتحدة عام 2001، حيث تعتبر إسرائيل المد الإيراني والأصولية الإسلامية بمثابة أعداء أساسيين مواجهين لها.

ويتجسد **الدافع الثالث** في **المحدد الاقتصادي** حيث تغطى أذربيجان ما يقرب من 48% من احتياجات إسرائيل من النفط والغاز، وهما يشكلان عماد الاقتصاد الأزري لتنمية موارده منهما، بحكم الإطلال على بحر قزوين الذي يثير توزيع ثرواته الهائلة بين الدول الست المطلة عليه خلافات معقدة. كما يمكن اعتبار أذربيجان سوقاً مهماً لصفقات الأسلحة المقدرة بمئات الملايين من الدولارات،

حيث وقعت أذربيجان عدة صفقات مع شركات صناعية عسكرية إسرائيلية من بينها "سولتام" لإنتاج قذائف هاون، ومنصات لإطلاقها، وشركة "تاديران" لتزويدها بوسائل اتصال، وهيئة "رفائيل" للصناعات العسكرية ببيعها قذائف صاروخية، وتحسينها لقدرات صواريخ "كايتوشا" من طراز "غراد" روسية الصنع، فضلاً عن راجمات ذخيرة وأجهزة اتصال ومدفعية لإطلاق قذائف صاروخية[5].

وفي هذا السياق، تعد إسرائيل جزءً من المحور الغربي الذي يخدم مصالح شركات النفط العملاقة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وإذا ما قدر لخط أنابيب باكو أن ينقل النفط للأسواق الغربية، فسيعنى أن تل أبيب سيكون لها أثر كبير في توجيه السياسات العالمية، لتحقيق مصالحها الخاصة بالهيمنة والسيطرة مع الولايات المتحدة على المنطقة والعالم.

أما **الدافع الرابع** يتمثل في **بعد مختلط**، أي مزيج من الدوافع السياسية والاقتصادية والأمنية، وهو فشل مشروع الثورات الملونة الذي مولته الولايات المتحدة عبر "إسرائيل"، ونكسه نظام "ساكاشفيلى" الجورجي، أدى إلى تغيير لمعالم الإستراتيجية الإسرائيلية في آسيا الوسطى من خلال التركيز على أن يكون التعاون الإسرائيلي مع (أذربيجان، بدلاً من جورجيا)، لأن أذربيجان توجد فيها حقوق نفط والغاز، إضافة إلى أن خطوط نقل النفط والغاز من بحر قزوين وبلدان آسيا الوسطى سيتم تمريرها عبرها، فضلاً عن مجاورة أذربيجان لإيران، ومحاولة إسرائيل الاستفادة من ذلك فيأي مخطط مستقبلي يستهدف إيران[6].

المحور الثاني:

الوضع الجغرافي والديموجرافي للأقلية اليهودية في أذربيجان

يعيش اليهود في أذربيجان منذ عدة قرون، لتمثل بذلك أفضل المناطق لنمو المجتمعات اليهودية، ويوجد بأذربيجان ثلاثة أنواع من اليهود:

أولها: **اليهود الاشكنازى**، وقد استوطن بعضهم في أذربيجان منذ القرن الـ 19 خلال محاولة روسية القيصرية لغرس الثقافة الروسية بداخل المنطقة، بينما الإشكيناز الآخرين، فقد أتوا إلى أذربيجان أثناء الحرب العالمية الثانية هروباً من قسوة النازية[7].

وثانيها: **اليهود الفارسيين**، ويعرفونه بـ "يهود بخاري أو يهود جبل القوقاز"، وهم جاءوا إلى أذربيجان قبل القرن الخامس وتاريخهم يعود إلى كثر من 2000 سنة، والأذربيجانيين كانوا تاريخياً مرحبين بهم

جداً. ويعيش هؤلاء اليهود في القوقاز منذ عدة قرون، ويقال أنهم ينحدرون من أصول القبائل التي هاجرت من إسرائيل عقب هدم المعبد الكنيس اليهودي الأول في 587 قبل الميلاد، وقد عاش جزء منهم في جنوب أذربيجان، والبعض الآخر في الجزء الشمالي الغربي من إيران[8].

وبينما هؤلاء قد تكيفوا مع لغة التات المسلمة (وهى لهجة من – خليطة من الفارسية القديمة والكلمات الآرامية والعبرية)، لكنهم في الوقت ذاته باقون على عاداتهم وتقاليدهم وطريقتهم في الحياة وعلى لغتهم الأم، وعقب موجات الاضطهاد فى فارس، هاجر العديد من اليهود في القرى الجبلية الواقعة على البحرين الأسود والكاريبى. وبنهاية القرن الـ 19 وبداية القرن الـ 20، عاش يهود بخاري، كمزارعين في مجتمعاتهم الصغيرة المعزولة[9].

وثالثها: **اليهود الجورجيين**، الذين أتوا من جورجيا. وتشير التقديرات المختلفة إلى أن هؤلاء اليهود يصل عددهم إلى ستة آلاف، في حين تشير تقديرات أخرى إلى أنهم يشكلون 10 آلاف، وقدرتهم إحصاءات ثالثة بـ 15 ألف، في حين حصرتهم تقديرات رابعة بما يتراوح بين 25.000 – 30.000 يهودي، يعيشون في جمهورية أذربيجان المقدر عدد سكانها بحوالي 7.5 مليون نسمة وفقا لعام 2011.

وفيما يتعلق بالتركز السكاني، يقيم اليهود وبصفة خاصة يهود الإشكنازى بصورة رئيسية في العاصمة "باكو"، وسومغيت، كما يوجد عدد من اليهود في سلوبودا من مدينة قباء، وأوغوز، وبلدة قرميزى Qirmizi، حيث تعد البلدة الوحيدة في العالم، التي يشكل يهود الجبل فيها غالبية سكانها[10].

وعلى الصعيد الاجتماعي، فقد كان ولا يزال لليهود حضوراً قوياً وفعالاً في المجتمع الأذربيجاني، وذلك في ضوء بيئة من التسامح الحكومي، وإقرار الدستور الأذربيجاني الجديد الصادر في عام 1992، بحرية ممارسة الديانة، بتأكيده على أنه لا توجد دولة دينية، الأمر الذى أدى إلى قيام الأقليات اليهودية الموجودة في الدولة، بإنشاء العديد من الكنائس والمعابد اليهودية لحرية ممارسة شعائرهم الدينية، كما حرصت الحكومة الآذرية على تخصيص جزء من موازنة الدولة لتمويل إنشاء العديد من المدارس والمؤسسات التعليمية، والمراكز الثقافية اليهودية[11].

المحور الثالث:

الدور الاقتصادي والسياسي للأقلية اليهودية في أذربيجان

يمكن تتبع الدور الاقتصادي والسياسي للجالية اليهودية الموجودة في أذربيجان، من خلال الوقوف على مرحلتين هامتين في تاريخ الدولة.

المرحلة الأولى: (1918– 1991)

تمتد هذه المرحلة منذ تأسيس أول جمهورية ديمقراطية مستقلة لأذربيجان في 28 مايو 1918، وذلك عقب الثورة البلشفية مباشرة وتحديداً بعام، واتسم الدور السياسي والاقتصادي للجالية اليهودية في الدولة بالفعالية، وذلك بالنظر إلى عددهم الضخم والذى تشير التقديرات إلى وصوله وقت ذاك إلى نحو 137.000 يهودي، إذ جاءوا من أوكرانيا وبيلا روسيا خاصة للعاصمة باكو(12).

وبالنسبة لمشاركة الجالية اليهودية في الحياة السياسية، فقد شاركوا في عضوية العديد من الحركات الصهيونية، كما أصبح منهم أعضاء في المجالس الملية – الدينية والتي عرفت وقتها بـ (البرلمان)، هذا بالإضافة إلى أن بعض اليهود تقلدوا مناصب وزارية في الحكومة، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى بعض أسماء الوزراء اليهود والوزارات التي تولوها في ذلك الوقت، فقد تولى K.Lisgar وزارة الأمن الغذائي، وR.Kaplan وزارة الشئون الدينية، وY.Gindes وزارة الصحة(13).

وخلال الفترة (1920– 1991)، مارس أفراد من الجالية اليهودية خاصة اليهود الإشكينازى، العديد من الوظائف في مجالات العلوم والطب والثقافة والصناعة، كما كان لهم دور ملموس في تنمية الموسيقى والمسرح وبعض أوجه الفنون الأخرى، بما جعلهم علامة تاريخية بارزة ورموز الثقافة لمختلف قطاعات المجتمع التي وجدت في العاصمة "باكو"، كما أن هؤلاء اليهود شكلوا جزءاً مهما من النخب التكنوقراط والمثقفين، نظراً لمستويات ثقافتهم وتعليمهم العالي وخبراتهم الواسعة في مختلف المجالات. كما أنه في فترة من الفترات شاعت ظاهرة التزاوج بين الإشكيناز اليهود والأذربيجانيين.

أما بالنسبة للدور الذي لعبته الجالية اليهودية في تنمية الاقتصاد الأذربيجاني، فيلاحظ أنهم عملوا بمجالي الزراعة والتجارة بصفة أساسية، إلى جانب العمل اليدوي، ومع النمو السريع "لباكو"، باعتبارها المنتجة للنفط في البلاد وبكميات كبيرة، قام عدد كبير من اليهود بدور نشط في تطوير هذه الصناعة الحيوية، وتجدر الإشارة إلى أنه خلال الفترة (1913 – 1914)، تحكم اليهود النشطين في

الاستثمار بمجال النفط (الرأسماليين) بما نسبته 44% من إنتاج الكيروسين في "باكو"، والذي يعد مصدراً هاماً للإنارة والشحن، وخلال النصف الأول من القرن العشرين، ابتكر مهندس كيمائي يهودي ويسمى A. Reilin، تكنولوجيا جديدة لتنمية النفط في "باكو"، الأمر الذي يعكس حرص المستثمرين والمتهمين بمجال النفط من اليهود في الدولة، على الدفع بصناعة النفط وجعلها في مقدمة الصناعات والأنشطة الاقتصادية الأخرى. وظل الوجود اليهودي نشط في أذربيجان(14).

المرحلة الثانية: (1992– وحتى الآن)

وهى المرحلة التي بدأت باستقلال أذربيجان في الاتحاد السوفيتي، ويلاحظ أن الدور السياسي والاقتصادي للجالية اليهودية في الدولة، كان كبيراً ولكن ليس بنفس القوة التي كان بها في المرحلة الأولى، وهذا رغم كل الضمانات التي كفلها لها الدستور الأذربيجاني، ووجود بيئة من التسامح الحكومي، وانعدام نظرة التمييز العنصري، والمعاملة على قدم المساواة مع المواطنين في البلاد، ولعل هذا يرجع بشكل أساسي إلى موجة الهجرة التي قام بها اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وألمانيا وروسيا.

وتفيد التقديرات إلى أنه يقترب من 80 ألف يهودي هاجروا من أذربيجان إلى الدول المشار إليها أعلاه مع بداية عام 1990، وذلك بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الدولة، لذا فهؤلاء يريدون البحث عن الأمان الاقتصادي والاستقرار السياسي، على الرغم من ممارسة الشعائر الدينية بحرية اليوم مقارنة بأي وقت مضى، الأمر الذي أحدث شرخاً كبيراً في المجتمع اليهودي في أذربيجان(15).

لكن سرعان ما حاولت إسرائيل معالجة هذا الأمر، وذلك بقيامها بـ (الهجرة المعاكسة)، أي دفع اليهود الروس المقيمين بإسرائيل للهجرة إلى أذربيجان، وتوفير الدعم اللازم لهم لإنشاء الشركات والمنشآت، على النحو الذي جعل من اقتصاد أذربيجان يقع بقدر كبير تحت سيطرة الشركات اليهودية، والتي قد تمثل أداة ضغط على دائرة صانع القرار في مجالي السياسة الداخلية والخارجية للدولة، وهنا يبرز الدور السياسي للجالية اليهودية ولكن بشكل غير مباشر عبر التأثير على عملية ودوائر صنع القرار، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه لا توجد بيانات دقيقة ومجددة في تمثيلهم في المؤسسة النيابية ولا في الأحزاب السياسية، إلا فيما يتعلق بالضغوط التي يمارسونها لتمثيل مصالحهم داخل البرلمان من خلال أعضائه بشكل غير مباشر.

ولكن بغض النظر عن حدود وطبيعة تأثير الأقلية اليهودية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فإنه يمكن القول بأنهم لهم حضور كبير داخل المجتمع الأذربيجاني وقدرة على التعايش معه في سلام، والقيام بلعب دور كبير في تأسيس مجتمع مدني حر، والمشاركة في الحياة العامة، لتحقيق التقدم والتنمية المنشودة في الدولة، حيث تشير البيانات المتوافرة إلى وجود ما يتراوح بين 10 – 15 منظمة يهودية في عاصمة "باكو" وحدها.

ومن أبرز تلك المنظمات المركز الإسرائيلي للبرامج التعليمية، ومنظمة المرأة اليهودية، الجريدة اليهودية، ومنظمة الصداقة الإسرائيلية – الأمريكية، مركزها هافانا لرفاهية النساء والأطفال، وحدة أديان باكو لليهود الأوربيين، ومجتمع قدامى الحرب، والوكالة اليهودية لبرامج الاتصال الإسرائيلية بالمدينة والتي تشتمل على تعليم اللغة الألبانية، والمعسكر الشتوي للأطفال ونادي أولياء الأمور(16).

المحور الرابع:

مجالات التعاون الإسرائيلية- الأذربيجانية

تشمل العلاقات الإستراتيجية بين الدولتين، التعاون في مجالات التجارة والأمن، بالإضافة إلى التبادلات التعليمية والثقافية، وهو ما أعطته الفعالية الزيارات المستمرة من المسئولين الإسرائيليون مع نظرائهم من أذربيجان، حيث تم في إطارها التوقيع على عدة اتفاقيات في مجالات التعاون المختلفة، على نحو ما توضحه النقاط التالية(17):

1- **التنسيق السياسي** بين الجانبين، فتبادل التمثيل الدبلوماسي بين الدول بصفة عامة يعتبر أحد المؤشرات المهمة لقياس مدى تطور العلاقات بينهما، فضلاً عن أنه يعكس تطور وتشابك المصالح السياسية والاقتصادية بينهما، كما أنه يعبر عن رغبة الدول في تطوير تلك المصالح، وإقامة نمط للعلاقات التعاونية. وقد بدأت العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل وأذربيجان في أبريل 1992 وبمستوى تمثيل دبلوماسي قوى في شكل بعثة دائمة يرأسها سفير لدى الجانبين(18).

2- **التعاون الاقتصادي** والدعم الفني، أبرمت إسرائيل وأذربيجان العديد من الاتفاقيات الثنائية في مجالات: تشجيع وحماية الاستثمارات المتبادلة، وتخفيض التعريفات والرسوم الجمركية على التجارة البينية، وتعزيز التعاون في الخدمات الصحية والعلمية والتكنولوجية، وتنشيط حركة السياحة والنقل والاتصالات والتدريب الفني فيما بينهما. وتشير التقديرات إلى أنه إسرائيل قد وسعت من معدل

شراكتها التجارية خلال الفترة ما بين 2000 و2005 مع أذربيجان، من العشر إلى الخمس. وطبقاً للإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة، فإنه ما بين عامي 1997 و2004، زادت الصادرات من أذربيجان لإسرائيل من حوالي أكثر من 2 مليون دولار لتصل إلى 323 مليون دولار، كما أن حوالي 6/1 المعروض النفطي لإسرائيل يأتي من أذربيجان.

وبهذا تأتي إسرائيل ضمن أكبر خمس شركاء تجاريين لأذربيجان في السنوات الأخيرة، كما تعد "باكو" أكبر مورد للنفط لإسرائيل، حيث تزودها بحوالي 40% من استهلاكها السنوي، بينما تعتبر إسرائيل سادس أكبر مستورد لصادرات النفط الأذربيجاني، ويصل النفط الأذري عن طريق خط أنابيب يمر عبر تركيا، وأستمر في العمل حتى في ظل تدهور العلاقات الإسرائيلية التركية في السنوات الأخيرة، وبالإضافة إلى ذلك تشارك إحدى المؤسسات التابعة لشركة النفط الحكومية لجمهورية أذربيجان "سوكار" في أعمال التنقيب عن النفط والغاز قبالة سواحل إسرائيل، وهذا المشروع هو الأول من نوعه لشركة "سوكار" خارج منطقة بحرين قزوين، والذي من شأنه أن يسهم في تحقيق أهداف المؤسسة بأن تصبح إحدى شركات النفط الدولية.

ويتضح مما سبق أن إسرائيل قد وجدت في أذربيجان مصدراً هاماً للطاقة، نظراً لقربها النسبي جغرافياً، يعوضها عن استحالة حصولها على النفط من منتجاته الكبرى في الخليج الفارسي، مما جعلها المزود الأكبر والأهم لإسرائيل في مجال النفط، عبر أنبوب النفط الذي يبدأ في العاصمة "باكو" ويمر عبر جورجيا ثم مدينة "جيهان" التركية وصولاً إلى شواطئ البحر المتوسط، كما تنظم إسرائيل مؤتمرات سنوية خاصة في مجالات المياه والاقتصاد، ودعوتهما لحضور دول الكومنولث لها ومن بينها أذربيجان، للتباحث في مجالات التعاون الاقتصادي والفني المشترك[19].

3- **التعاون الثقافي والتبادل التربوي** بين الجانبين الأذربيجاني والإسرائيلي، فيلاحظ أنه حجم هذا التبادل يزداد بفضل عقد المهرجانات الثقافية المشتركة، وإلغاء نظام التأشيرة بين البلدين، وبوجود طائفة يهودية في "باكو" ساهمت بشكل كبير في تعزيز العلاقات الثقافية بين الجانبين[20].

4- **التعاون العسكري**، فقد دخلت العلاقات بين البلدين مرحلة جديدة في أغسطس 1997 أثناء زيارة رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو إلى "باكو"، ومنذ ذلك الوقت، وإسرائيل تحرص على تنمية وتطوير علاقاتها الوثيقة بأذربيجان خاصة في مجال تحديث وتطوير القوة العسكرية لأذربيجان. كما أنه في عام 2009، قام الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز بزيارة أذربيجان، وذلك للسعي نحو توسيع

العلاقات العسكرية عن السابق من خلال الشركة الإسرائيلية "إرينوتكس للأنظمة الدفاعية" (Ltd)، بإعلانها عن عزمها إقامة مصنع في العاصمة "باكو".

ومن هنا، تحرص إسرائيل على تقديم الدعم والتعاون لأذربيجان في المجال العسكري، حيث وقع الجانبان العديد من الاتفاقيات الثنائية في هذا المجال، نذكر في هذا المجال قيام هيئة الصناعات العسكرية الإسرائيلية بتوريد مائة دبابة من طراز "ميركافا" و30 طائرة حربية إلى أذربيجان، وأنشأت فيها خطاً لإنتاج الطائرات بدون طيار، وأسلحة مضادة للطائرات، وأنظمة دفاع مضادة للصواريخ، لتصبح بديلاً لتركيا في صادراتها العسكرية، مما يؤكد أن الجيش الأذرى يعمل بتزامن كامل مع أنظمة الدفاع الإسرائيلية .كما افتتحت شركة "التاسيستمز" أكبر شركة إسرائيلية متخصصة في المعدات الدفاعية الإلكترونية فرعاً ضخماً لها في "باكو" يمكنها من التقاط صور بالغة الدقة، في أسوأ الظروف الجوية، وإطلاق نظام قمر صناعي يمكنه الوصول إلى محطات مهمة جداً بالنسبة لإسرائيل، وهو ما يعكس مدى التعاون الاستخباراتي والأمني بين الجانبين[21].

ويرى الخبراء أن تزويد إسرائيل أذربيجان بالأسلحة والوسائل القتالية المختلفة، يأتي نتيجة للنزاعات المحتدمة بينها وبين جاراتها وعلى خلفية موقعها المتميز بين إيران، وروسيا وتركيا، ومن هنا أصبحت أذربيجان إحدى المستهلكين الرئيسيين للأسلحة والخبرة العسكرية الإسرائيلية، وكان من أهم الصفقات المبرمة بين الجانبين في هذا المجال، الاتفاقية التي صدق الجانبان عليها في فبراير 2012 بقيمة 1,6 مليار دولار وتشمل طائرات إسرائيلية بدون طيار ونظم مضادة للطائرات، والدفاع الصاروخي، بينما بلغت القيمة الإجمالية لصفقات السلاح الإسرائيلي إلى أذربيجان بين الأعوام 2012 و2016 نحو 4,5 مليار دولار، وبهذا تحتل إسرائيل المرتبة الثانية (بعد روسيا) بين الدول التي تصدر الأسلحة إلى أذربيجان، وذلك على الرغم من الحظر الذي فرضته دول "منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية" (OECD) على كل من أذربيجان وأرمينيا في محاولة لخفض حدة النزاع بينهما[22].

5- **التعاون الاستخباراتي والأمني** بين إسرائيل وأذربيجان، خاصة تدريب الأولى للأجهزة الأمنية والاستخباراتية للأخيرة، وإشرافها على الطاقم الأمني للرئيس الأذرى خلال زياراته الخارجية، وتبادل المعلومات السرية حول أعدائهما بشكل روتيني، وتحليل الصور الملتقطة بواسطة أقمار صناعية إسرائيلية، مما يعطى التسريبات الصحفية "حول طلب تل أبيب من باكو وضع محطات تنصت إلكترونية على طول بحر قزوين كثيراً من المصداقية.

كما ازدادت العلاقات الأمنية رسوخاً بين الجانبين، بعد أن أعلنت أذربيجان عن إحباطها ما وصفته بأنه "مخطط تفجير" أعد له حزب الله لتفجير السفارة الإسرائيلية في باكو، وإلقائها القبض على 22 ضابطاً من الحرس الثوري الإيراني بتهم ارتكاب أعمال معادية ضد السفارات الأمريكية والإسرائيلية وعدد من الدول الغربية.

وثمة مصلحة مشتركة هامة أخرى بين البلدين تتمثل في المخاوف من إيران ومن الإرهاب الدولي، فقد نشرت وسائل إعلامية مختلفة خلال السنوات الأخيرة عن مخططات لتنفيذ عمليات إرهابية على أراضي أذربيجان تم إحباطها جميعاً بفضل معلومات استخباراتية إسرائيلية، كما أنه يوجد في إيران جالية أذرية كبيرة، ونظراً للقرب الجغرافي بين الدولتين، ومن شأن ذلك أن يساعد إسرائيل كثيراً في التجسس على إيران وجمع معلومات استخباراتية عنها في المجالات المختلفة، فضلاً عن تشكيلها (أذربيجان) قاعدة انطلاق لأي هجوم إسرائيلي محتمل على إيران[23].

الخاتمة

في ضوء ما سبق، يتضح أن إسرائيل اتجهت وتتجه فعلياً إلى تبنى سياسة جديدة تجاه دول الكومنولث ومن بينها أذربيجان، قوامها أن الوجود اليهودي في هذه الدول يضمن لإسرائيل فرصة لتدعيم نفوذها واختراقها لمجتمعات ونخب هذه الدول، وقد استغلت إسرائيل الوجود اليهودي بهذه الدول في ثلاثة اتجاهات:

أولهما، فتح باب الهجرة من هذه الدول إلى إسرائيل خاصة بعد سقوط الحائط الشيوعي، ولذا افتتحت فرعاً للوكالة اليهودية لتنظيم هجرة اليهود إلى إسرائيل في عواصم هذه الدول، ويشارك هؤلاء المهاجرون بكفاءة عالية في دفع النمو الاقتصادي بالصناعات الإسرائيلية عالية التكنولوجيا، علاوة على مشاركتهم العالية في الحياة السياسية بإسرائيل، حيث ينتمي غالبتهم لحزب "إسرائيل بيتنا" برئاسة المهاجر الروسي والوزير السابق "أفيجدور ليبرمان".

وثانيهما، تأمين بقاء عناصر وجماعات ضغط يهودية في هذه الدول، لضمان بقاء النفوذ الإسرائيلي في هياكل صنع القرار داخلها، وكانت أذربيجان ضمن تلك الدول، ومستغلة في ذلك الإغراءات الاقتصادية والمالية، وفى الوقت نفسه استشراء الفساد داخلها من أجل الحصول على مكتسبات وامتيازات لصالحها، علاوة على ضعف اقتصادياتها وانهيار شبكة البنية التحتية فيها[24].

وثالثهما: إسرائيل لديها مصلحة إستراتيجية في تطوير الروابط مع أذربيجان، لأنها يمكن أن تساعد في إيقاف ظهور الأصولية الإسلامية الصادرة من إيران، فلا يوجد تهديد أكبر من وجهة نظر كلاً من أذربيجان وإسرائيل، من ذلك الذي تمثله السياسة الإيرانية، وطموحاتها الأيديولوجية والتوسعية والدينية، فإيران تصور نفسها الزعيمة الشرعية في الشرق الأوسط وفي بحر قزوين، ويرى قادة إيران إنه لا مكان للدولة اليهودية (إسرائيل) وأذربيجان العلمانية في فنائها الخلفي، وهو واحد من العوامل التي تجتذب أذربيجان لتوثيق علاقاتها بإسرائيل من خلال الخوف المشترك من طهران[25].

الهوامش

([1]) رضا محمد هلال، "علاقات إسرائيل بدول الكومنولث الروسي: دراسة في القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية"، في د. هدى ميتكيس (محرر)، **العلاقات الآسيوية – الآسيوية** (القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، 2007).

([2]) د.مصطفى علوي (محرر)، **الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة**، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1994).

([3]) د.عدنان أبو عامر، "إسرائيل وأذربيجان: بين المصالح المتبادلة والتحالف الاستراتيجي"، **مركز الجزيرة للدراسات**، 16 مايو 2012.

([4]) هشام منور، "تمدد النفوذ الإسرائيلي في آسيا الوسطى: أذربيجان نموذجاً"، **موقع المسلم**، 22 أكتوبر 2012، على الرابط التالي:

http://www.almoslim.net/22-10-2012

([5]) آرتور لنك، "أذربيجان: نموذج العلاقات بين دولة إسلامية ودولة إسرائيل"، **موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية**:

http://www.altawasul.com/5/7/2009

([6]) هيثم الكيلاني، "المداخل العربية والإسرائيلية إلى آسيا الوسطى الإسلامية"، **مستقبل العالم الإسلامي**، (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي)، السنة الخامسة، (العدد 16)، 1995.

([7]) "Azerbaijan: Jewish community in Azerbaijan":

http://www.jpeopleworld.com/25/11/2012

وأنظر أيضاً

"Azerbaijan: the status of Armenians, Russians, Jews and other minorities", (Washington: INS Resource Information Center, 1993).

([8]) "Azerbaijan: Jewish community of Azerbaijan", official – web – site of president of Azerbaijan.

([9]) "Azeri Jews: centuries of coexistence in Azerbaijan":

http://www.jewishjournal.com/10/1/2008

([10]) "General information on Azerbaijan Jewish organizations":

http://eajc.org/25/11/2012

([11]) younis abdullayev, "the rich jewish heritage of Azerbaïdjan ", article published on website:

http:www.israel national news.com.opeds, 25-12-2017.

([12]) Milikh yevdayevm , " Azerbaïdjan: yes, jews and muslims can be friends", jewish journal, september 25, 2018: http://www.jewishjournal.com

([13]) "Jews in Azerbaijan: a history spanning three millennia":

http://www.visions.az/25/11/2012

([14]) "Azerbaijan: virtual Jewish history tour":

http://www.jewishrrtuallibrary.org/22/11/2012

([15]) "Religions in present Azerbaijan"

http://www.Azerbaijan.az/generalinfo/traditional/religion/tradition/25/11/2012

([16]) "احتفاء إسرائيلي بافتتاح مدرسة يهودية في أذربيجان"، **موقع اون إسلام**، 12 نوفمبر 2012، على الرابط التالي:

http://www.onislam.net/12-11-2012

([17]) "أذربيجان – إسرائيل": تغير ميزان القوى يتحدى الشراكة بينهما، **موقع الحقول**، 14 أغسطس 2012، على الرابط التالي:

http://www.alhoukoul.com/14-8-2012

([18]) Elnur Isamayilov, "Israel and Azerbaijan: the evolution of a strategic partnership", **Israel journal of forgien affairs**, v II: 1, 2013, p 69.

([19]) Azerbaijan – Israel: firm alliance? (1),**Today's Zaman**, 6 November 2012.

([20]) LLya Bourtman, "the Israel and Azerbaijan's furtive Embrace", **middle East quarterly**, summer 2006.

([21]) "اتفاق تصنيع عسكري إسرائيلي أذربيجاني"، **مختارات إسرائيلية**، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، (القاهرة: مؤسسة الأهرام)، ديسمبر 2011.

([22]) "ازدهار غير مسبوق في العلاقات بين إسرائيل وأذربيجان"، مقالة منشورة على **الموقع الإلكتروني لمركز مدار**:

http://www.madarcenter.org/23-1-2018

([23]) بريندا شيفر، "التعاون بين أذربيجان وإسرائيل يتجاوز التوترات الإيرانية"، مقالة منشورة على الرابط الإلكتروني **لمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى**.

http://www.washingtoninstitute.org<view/16-4-2013



([24]) أ.م.د. دياري صالح مجيد، "العلاقات الأذرية – الإسرائيلية وأثرها في السياسة الإيرانية"، مقالة منشورة على الرابط التالي:

http://www.iasj.net.iasj/2015

([25]) Robert N. Marcus, "Azerbaijan and Israel: oil, Islam and strawberries pragmatism in foreign policy between unlikely allies", **Master Thesis** (not published), the fletcher school of law and diplomacy (Tufts University, Boston 2009), pp 39-40.